

الزنايق الحمراء : الحركة الكشفية التونسية (1965-1916)

تقديم : عميرة عليّة الصغير

المعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية

صدر عن المعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية والمعهد العالي للتوثيق سنة 2009 ومن طبع المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية كتاب جديد للأستاذ والباحث محمد ضيف الله اختار له عنوان "الزنايق الحمراء : الحركة الكشفية التونسية (1965-1916)" في 328 صفحة وهو الكتاب الخامس لمحمد ضيف الله¹. وقد قدم لهذا الإصدار القائد رشيد رحومة نائب رئيس المجلس الأعلى للكشافة التونسية منوهاً بجهد المؤلف خاطباً : "كنت أتمنى أن يهندي لبحره (تاريخ الكشافة) الباحثون ويجلي كوامن درره الغواصون وها هي الأمنية تتحقق فيبرز لنا الدكتور محمد ضيف الله بهذا النتاج القيم كتاب الزنايق الحمراء مفكراً وممحصاً ومقارناً ومستنتجاً ومكتشفاً لجوانب نضالية ووطنية

(1) صدرت له الكتب التالية :

- الحركة الطلابية التونسية بين أعوام 1927-1939، تونس، 1999، 368 ص.
- نوافذ على تاريخ نفزاوة، مطبعة بابيريس، نابل - تونس، 2000، 207 ص.
- المدرج والكرسي : بحوث حول الطلبة التونسيين بين الخمسينات والسبعينات، مكتبة علاء الدين، صفاقس، 2003، 200 ص.
- المجتمعات المائية : قبلي وزغوان في القرن التاسع عشر، المغاربية للنشر، تونس، 2009، 200 ص.

وتربوية في التاريخ الكشفي لم يهتد إليها غيره، وليضفي على مسيرة تاريخ الحركة أضواء وأنوارا تجعلها في مقدمة الحركات الشبابية النضالية والتربوية في البلاد" (ص7)

ولا نخال القائد رشيد رحومة يبالغ في تنويهه هذا عندما نطلع على محتوى الكتاب إذ التزم محمد ضيف الله بضوابط البحث العلمي وشروط استيفاء الحقيقة التاريخية إن كان من حيث تنوع مراجعه ومصادره أو من حيث التزام النزاهة والدقة في استرداد الوقائع أو إحالة الأخبار و المعطيات لمصادرها. وقد تنوعت مصادره من صحافة وبالخصوص الكشفية منها مثل ثابر وطليعتي والمشعل والى العمل والسبيل والسهم وكشاف المكارم والإخوة والتجوال والشبل وصدى التجمع أو أرشيفية عامة مثل وثائق الأرشيف الوطني التونسي أو أرشيف الإقامة العامة ووزارة الخارجية الفرنسية وخاصة استغلال الأرشيفات الكشفية الخاصة السانحة، كذلك اعتمد المؤلف على المتوفر من منشورات ومؤلفات تخص تاريخ الحركة الكشفية في تونس وفي العالم واستفاد من شهادات حية استقاها من قادة العمل الكشفي في تونس (13 شهادة).

لذا أتى هذا الكتاب - في تقديرنا - دسم المحتوى وغنيا بالتفاصيل وبالعام أيضا في تاريخ الحركة الكشفية في تونس منذ أول محاولة لتأسيس جمعية كشفية تونسية 1916 إلى سنة 1965 عندما فقدت فيه جمعية الكشفة التونسية ذاتيتها وأدمجت الجمعيات الكشفية في جمعية واحدة سميت "اتحاد الشباب التونسي".

قسّم المؤلف كتابه إلى ثلاثة أبواب. عنوان الأول : الجذور والزهور" وتناول فيه الفصول التالية : في جذور الكشفية التونسية، الفسيفساء الكشفية، الصحافة الكشفية في تونس، الوحدة الكشفية : الخطاب والتجارب، الكشافون بين النوادي والمخيمات، مواقع الذاكرة الكشفية، وفي الباب الثاني : "التراب والأثراب" نجد الفصول التالية : الكشفية : الاستعمار والوطن، الجمعيات الكشفية والأحزاب الوطنية، الكشفية ضمن المنظمات الوطنية، الحركة الكشفية وعلاقاتها الخارجية، أما الباب الثالث والأخير فقد تضمن عناصر هامة للاستغلال الأمثل لمحتوى الكتاب كالتعريف بالمصطلحات الكشفية المتداولة وتراجم بعض أعلام الكشافة في تونس و كرونولوجيا لأهم الأحداث الكشفية في

تونس وفي العالم كما أردف المؤلف هذه الملاحق بجملة من الوثائق الأصلية الهامة هذا علاوة على مجموعة من الصور الفوتوغرافية ذات الصلة بالموضوع والمبنوثة في ثانيا صفحات الكتاب.

نظنّ أنّ هذا الكتاب الجديد في تاريخ الحركة الكشفية يمثل إضافة معتبرة لرصيد تاريخ الحركة الشبابية في تونس ويثري المعرفة بتاريخ الحركة الوطنية التونسية التي اختزلها البعض في نشاط الأحزاب السياسية بينما هي كما يكشفه الواقع متعدّدة القوى متنوعة الصيغ تحتل فيها الجمعيات الكشفية مشاغل المقاومة الوطنية ومدارس للوطنية وحب العطاء.

